دلالة التركيب الإسمي المنسوخ ب (كان) في سورة الكهف.

م.م فاطمة حسين عيسى

كلية الآداب /جامعة كركوك

fatimahussein@uokirkuk.edu.ia

المقدمة :

في بؤرة الجملة للنصّ القرآني في سورة الكهف، لا يقتصر الفعل الناسخ (كان) بوصفه فعلاً ثابتاَ، بل يتجاوز حدوده النحوية إلى أفاق دلالية رحبة، فيُسهم في تشكيل الرؤية السرية التي تنبثق منها دلالات نحوية وبيانية . ومن هنا تتبلور أهميّة تتبّع التركيب الاسمي المنسوخ بـ(كان) في سورة الكهف، إذ تمثّل هذه السورة بكل آياتها زخرفاً لفظياً ثرياً ميدانًا ثريًا، لما يحمله من قصص متعدّدة وأبعاد وزمانية مكانية متشابكة.

تخرج (كان) في سورة الكهف عن حيز الزمن الماضي لتفيد الاستمرار والتحقق وتجلي الحكمة القدرية؛ فهي لا تؤرخ للحدث، بل تربط صيرورته الزمنية بالتدبير الإلهي، كاشفةً عن التداخل بين باطن الأمر وظاهره.

فتضمن هذا البحث كان المنسوخة ،وتم تبويبها على شكل انساق في كان المنسوخة من حيث الاسم الصريح وخبرها , واسمها الضمير الظاهر, والمستتر وخبرها , واسمها المؤخر , وخبرها المقدم في شبه الجملة , الجار والمجرور , والظرف الزماني والمكاني , وكل نسق من هذه الأنساق يحملُ طيات نحوية دلالية بيانية مسلطا الضوء على الجملة كونها مستأنفة , او عاطفة أو فعلية . فكان بحثا مكللاً بتوطئة , وعشرة انساق لكان المنسوخة , وخاتمة , ومصادر .

الكلمات الإفتتاحية : كان المنسوخة , انساق كان في اسمها وخبرها , الجملة التي وقعت فيها كان, اعراب التركيب وبيانه, دلالة التركيب.

(The Semantic Significance of the Nominal Structure Governed by Kāna in Sūrat al-Kahf)

M.M:Fatimah Hussein Issa

College of Arts / University of Kirkuk

fatimahussein@uokirkuk.edu.iq

Abstract :

At the core of sentence structure in the Qur’anic text of Surat al-Kahf, the defective verb (kāna) is not confined to its function as a fixed grammatical element; rather, it transcends its syntactic boundaries to open broad semantic horizons. In doing so, it contributes to shaping the deeper underlying vision from which grammatical and rhetorical meanings emerge. From this perspective, the importance of examining the nominal construction governed by (kāna) in Surat al-Kahf becomes evident. The surah, with all its verses, represents a rich linguistic field, filled with multiple narratives and intertwined temporal and spatial dimensions.

In Surat al-Kahf, (kāna) moves beyond the mere indication of past tense to convey continuity, realization, and the manifestation of divine wisdom. It does not merely record events; rather, it connects their temporal unfolding with divine orchestration, revealing the interplay between the inner and outer dimensions of meaning.

This study examines the defective (kāna) through a systematic classification into patterns based on its syntactic structure: cases where its subject is an explicit noun and its predicate, where its subject appears as an explicit or implicit pronoun, as well as constructions involving delayed subjects and fronted predicates in) prepositional and adverbial phrases), including) prepositional phrases) and adverbials of time and place. Each of these patterns carries layered grammatical, semantic, and rhetorical implications, shedding light on the sentence in which (kāna) occurs—whether it is independent, coordinated, or verbal in nature.

The study is structured with an introduction, followed by ten patterns of the defective (kāna), and concludes with a) conclusion) and references.

Keywords: defective (kāna), patterns of (kāna) in subject and predicate, the sentence containing (kāna), syntactic analysis and exposition, semantic significance.

توطئة:-

تتجاوز (كان وأخواتها) في سورة الكهف وظيفتها الإعرابية لتصبح أدوات هندسية دلالية تنقل الجملة من الثبات الإسنادي إلى الصيرورة الزمنية والحدثية. فالبحث يتقصى أثر هذه النواسخ في صياغة المشهد السردي القصصي للسورة، حيث يعمل الحضور المكثف لـ (كان) كآلية تنظيمية دقيقة تضبط إيقاع الزمن وتربط التفاصيل اللغوية بعمق التدبير الغيبي والقدر.

فالتركيب في اللغة كما اعرب عنها ابن فارس في أن المعنى المحوري لمادة (ر ك ب) هو: الاعْتِلاءُ والارْتِفاع؛ أي أن يعلوَ شيءٌ فوق شيءٍ آخر. ومن هذا الأصل اشْتُقَّ فعل (رَكِبَ، يَرْكَبُ، رُكُوبًا). وتُسمى الدوابُّ التي تُركب رِكابًا، والمفرد منها يُعرف بـ الرّاحلة.(ابن فارس1979, 2\432)

وفي الإصطلاح: كما اسفر عنها الشريف الجرجاني انها جمع الحروف البسيطة وتنسيقها لبناء لفظ مفيد . (الشريف الجرجاني, 56)

وفي مضمون هذا البحث يصب فيه الأمر على (كان) المنسوخة , إذ تعَدّ كان المنسوخة أصلَ باب الأفعال الناسخة، وهي أكثر هذه الأفعال استعمالًا وأوسعها دلالة. وتندرج معها مجموعة من الأفعال التي تشترك معها في العمل، مثل: صار، وأصبح، وأمسى، وظلّ، وبات، وأضحى، وليس، وما دام، وما زال، وما انفكّ، وما فتئ، وما برح، إضافةً إلى ما تصرّف منها أو جاء بمعناها مما يدلّ على الزمن المجرّد من الحدث.

وتختصّ كان وأخواتها بالدخول على الجملة الاسمية، فَتُحدِث فيها نسخًا يغيّر حكمها الإعرابي؛ إذ ترفع المبتدأ فيُسمّى اسمها، وتنصب الخبر فيُسمّى خبرها. ويُشَبَّه اسمها بالفاعل من حيث الرفع، وخبرها بالمفعول به من حيث النصب، نحو: كان زيدٌ قائمًا.

وتبرز أهمية كان المنسوخة في كونها لا تقتصر على الدلالة الزمنية فقط، بل تؤدي وظيفة تركيبية ودلالية دقيقة، فهي تربط بين طرفي الجملة (الاسم والخبر) مع إضافة معنى الزمن، وغالبًا ما تدلّ على الزمن الماضي، مع مع إمكان تصرّفها إلى صيغ أخرى تُفيد الحاضر أو الاستقبال، مثل: يكونُ، وسيكونُ. ومن خصائصها كذلك أنّه إذا اجتمع في الجملة اسمٌ معرفة وخبرٌ نكرة، فإنّ الغالب أن يكون اسم كان هو المعرفة، وخبرها هو النكرة؛ لأنّها في الأصل تنقل

الجملة من الإخبار الثابت إلى الإخبار المقيّد بزمن. وبذلك تمثّل كان المنسوخة محورًا أساسيًا في باب النواسخ، لما تؤديه من دور في تحويل بنية الجملة الاسمية، وإكسابها أبعادًا زمنية ودلالية تتجاوز مجرد الإسناد البسيط . (ابن جني 36)

ومن الانساق التي وردت في سورة الكهف في (كان) :-

اولا : نسق كان + (اسم صريح) + (خبر صريح) في قوله تعالى { وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا (82) }. يبيّن ابن الطبري أن معنى الآية هو:

أراد الله أن يكبر اليتيمان ويبلغا قوتهما، ليتمكّنا حينها من استخراج كنزهما المدفون تحت الجدار، فكان إقامة الجدار رحمةً من الله بهما وصونًا لمالهما حتى يشتدّا.(ابو جرير الطبري2000م,18\90)

وفي اعرابها , الفاء تفيد الربط بالجواب، وكان فعل ماضٍ ناقص، وأبواه اسمها مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنّى، وهو مضاف، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، أما مؤمنين فهو خبر كان منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه مثنّى، والجملة خبر حيث تُفهم وظيفتها الإعرابية من سياقها.(الدعاس 1425, 2\229-230)

بيّن النحويون في قوله: وأمّا الغلام فكان أبواه مؤمنين ,أَنّ التركيب جاء على الأصل، حيث جاءت كان واسمها وخبرها بصيغة التثنية المنصوبة مؤمنين. غير أنّ سيبويه يجيز – في غير أسلوب القرآن – أن يقال مؤمنان، على تقدير إضمار ضمير الشأن في «كان»، فتكون جملة أبواه مؤمنان في محل خبر لها، باعتبارها جملة اسمية من مبتدأ وخبر. وقد استشهد سيبويه على هذا الاستعمال بما رُوي: كلّ مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهوّدانه وينصّرانه. ونقل أبو جعفر النحاس هذا التوجيه مقرّرًا جوازه من جهة الصناعة النحوية، مع بقاء القراءة القرآنية على وجهها الأفصح والأبلغ.(النحاس1421, 2\304,والعكبري,2\858).

ثانيا : نسق كان + اسمها المضاف + خبرها .

قال تعالى {قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (98) }

يفسّر الطبري الآية بأن وعد الله بهدم هذا الردم وخروج أولئك القوم وإفسادهم في الأرض هو وعدٌ صادق لا يتخلّف؛ إذ إن الله لا يُخلف ميعاده، فيقع الأمر كما أخبر به دون تغيير أو تبديل , (الطبري 2000 , 18\120)

ويرى ابن عاشور ان هذه الجملة فيها تذليل للعلم للدلالة على انتهاء الأجل,(ابن عاشور 1984 ,16\40).

وتعد هذه الجملة تذييلاً من ذي القرنين وتأكيداً لما اشتملت عليه الجملة الشرطية (فإذا جاء وعد ربي...) من مضمون، وهي تمثل ختام القصة كما حُكيت , والجملة هي تأكيد للمضمون الشرطي المتمثل في حتمية وعد الله وزوال السد عند الوقت المحدد,(الآلوسي1415, 8\364).

فتُعرب وَكانَ بأنها فعل ماضٍ ناقص مبني على الفتح، والواو في بدايتها عاطفة، واسم كان ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على الوعد المذكور سابقاً في السياق، أو تُعرب وَعْدُ في الجملة وَكانَ وَعْدُ على أنها اسم كان مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره (بناءً على القراءة الشائعة "وعدُ" بالرفع)، و رَبِّي مضاف إليه مجرور بكسرة مقدرة على ما قبل الياء، والياء ضمير متصل في محل جر مضاف إليه. أما حَقًّا فهي خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة، والجملة الفعلية (كان وعد ربي حقاً) معطوفة على جملة سابقة ,(الدعاس1425,2\233).

ثالثا : نسق كان + اسمها + خبرها المضاف .

يتبين ذلك في قوله تعالى {وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جدلا (54)}

يُشير النص إلى تفسير قوله تعالى في كلمة شيء هنا بصيغة المفرد ولكن المقصود بها الجمع، أي أن الإنسان هو أكثر الكائنات والمخلوقات جدالاً وخصومة ومماراة إذا فُصّلت الأشياء واحداً تلو الآخر، ولهذا وصفه الله بأنه "خَصِيمٌ مُّبِينٌ".

وقد أُعربت كلمة جَدَلًا على أنها تمييز منصوب، وتُبين الآية شدة جدال الإنسان مقارنة بغيره.

وحول المقصود بـ الإنسان في الآية، ذكر المفسرون أقوالاً عدة، منها أنه النضر بن الحارث، أو ابن الزبعرى، أو أُبي بن خلف، حيث اشتهر هؤلاء بخصومتهم، وبالأخص "أُبي بن خلف" الذي جادل في أمر البعث بقدومه بعظم رميم ونثره، مستنكراً قدرة الله على إحيائه كما ذكر ذلك ابن السائب وفي سياق أوسع، قيل إن الآية تشمل كل من يعقل من ملائكة وجن، فبالرغم من جدالهم، إلا أن الإنسان يظل هو الأكثر جدالاً ومماراة بينهم,(ابن حيان1420, 7\193).

جاءت هذه الآية معطوفةً على الجمل السابقة التي اشتملت على ضرب الأمثال، ابتداءً من قوله تعالى: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ[الكهف: 32]، وقوله: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (45) } حيث تتابعت الأمثال في سياق واحد لغرض البيان والإيضاح. وبذلك يُفهم أن قوله تعالى:(ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل) هو استئنافٌ مؤكد لما سبقه من عرضٍ للأمثال، وبيانٌ لشمولها وتنوعها في الهداية والتذكير, وفي جملة وكان الإنسان أكثرَ شيءٍ جدلًا تذييلٌ يفيد معنى محذوفًا تقديره: فجادلوا، إذ يدلّ على أنّ طبيعة الإنسان الإكثار من الجدل. ولفظ الإنسان للجنس ب(أل) الدالة على الحقيقة، وهو أعمّ من الناس (ابن عاشور1984 ,15\364-374).

فالواو إمّا عاطفة وإمّا حالية، وكان فعل ناقص، والإنسان اسمها، وأكثرُ شيءٍ خبرها، وجدلًا تمييز. والمعنى: أنّ الإنسان هو أشدّ المخلوقات مجادلةً ولجاجًا، لا سيما في الباطل ,(محيي الدين درويش1415 ,5\624) ,فهي جملة مستأنفة ,(الدعاس1425, 2\223).

وفي قوله: (أكثرَ شيءٍ جدلًا) وجهان:

الأول: أن شيئًا بمعنى مجادل، لأن اسم التفضيل يضاف إلى ما هو من جنسه، وتمييزه بـ جدلًا يدل على أن المراد الأكثر مجادلة، وفيه وضع العام موضع الخاص.

الثاني: أن في الكلام حذفًا، وتقديره: وكان جدال الإنسان أكثرَ شيءٍ، ثم جاء التمييز لتوضيحه,(العكبري 2\852).

رابعا: نسق كان + اسمها (ضمير) + خبر (شبه جملة) في قوله تعالى ببداية قصة اصحاب الكهف {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9)}.

في قوله تعالى الخطاب جاء على سبيل الاستفهام الإنكاري؛ أي ليس المقصود أنهم أعجب آيات الله على الإطلاق. فمع كون قصتهم آية عجيبة، إلا أنّ هناك ما هو أعظم منها في خلق السماوات والأرض، مما يوجّه النظر إلى سعة قدرة الله وتعدّد آيات,(البغوي1420, 3\173),(وابي زهرة,9\4495).

ففي اعرابها , كانوا: فعل ماضٍ ناقص، والواو ضمير متصل في محل رفع اسم كان، وجملة كانوا... في محل رفع خبر أنَّ , من آياتنا: جار ومجرور في محل حال ,عجبًا: خبر كان منصوب فالاستفهام إنكاري يفيد النفي، وليس المراد نفي العجب عن قصتهم، بل نفي كونها أعجب الآيات ,(محيي الدين درويش1415 ,5\543)

خامساً : نسق كان + اسمها (ضمير مستتر +خبر شبه جملة) في قوله تعالى {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (82) } في هذه الآية وردت كان في اكثر من نسق, وسنأخذ ان شاء الله كلَّ منها في موضعهِ المناسب , اما الآن في ضوء هذا النسق , جاءت كان في قصة الغلامين اليتيمين, يقال ان اسمهما أصرم وصريم، والمقتول جيسور,(البيضاوي1418, 3\290)

ففي اعرابها, الواو حرف عطف، وأمّا تفيد الشرط والتفصيل, والجدار مبتدأ مرفوع، ثم جاءت الفاء رابطة لجواب الشرط، وتلاها كان فعل ماضٍ ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على الجدار. أما لغلامين فجار ومجرور متعلقان بخبر كان المحذوف، ويتيمين صفة لغلامين,(الدعاس1425 ,2\229).

سادساً: نسق كان + اسمها ضمير مستتر + خبرها.

قال تعالى : ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الآية: 43]

يُبيّن النص هنا حالة العجز المطلق التي آلت إليها حال هذا الشخص؛ فجملة "وما كان منتصراً" تشير إلى أنه حين حاق به عذاب الله، لم يجد في نفسه ولا فيمن حوله قوة تمنعه أو تحميه. والمعنى السردي هنا يُؤكد أنه وقف أعزل أمام إرادة الخالق، عاجزاً عن دفع البلاء أو الامتناع عن العقاب الذي نزل به، ففاتتْه النصرة حين لم ينفعه ماله ولا جاه,(الطبري2000 ,18\28).

فجاء النص القرآني بجملة استئنافية مصدرة بـ (لم) النافية للجزم، حيث وقعت كلمة (فئةٌ) اسماً مؤخراً للفعل الناقص (تكن)، وُصفت هذه الفئة بجملة فعلية (ينصرونه) في محل رفع نعت لتوضيح عجزها. ثم عُطفت عليها جملة (ما كان منتصراً) لبيان حال صاحب الجنتين في نفسه؛ فاسم (كان) ضمير مستتر يعود عليه، و(منتصراً) خبرها المنصوب الذي أتمّ معنى نفي القدرة الذاتية، لتأخذ هذه الجملة المعطوفة حكم الجملة الأولى في كونهما لا محل لهما من الإعراب,(محمود بن عبد الرحيم الصافي1418 ,15\194).

سابعاً : نسق جملة فعلية منسوخة ب كان + خبر جملة فعلية.

من ذلك الخبر قوله تعالى {قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا} الآية 64.

حين أخبر الفتى موسى -عليه السلام- بفقدان الحوت، لم يجزع موسى، بل استبشر قائلًا: هذا هو تماماً ما كنا ننتظره ونبحث عنه, فقد كانت تلك العلامة المنشودة التي تدل على مكان العبد الصالح. وعلى الفور، قفلا راجعين، يتتبعان بدقة آثار أقدامهما التي سلكاها أول مرة، وكأنهما يقرآن كتاباً على الأرض، حتى انتهى بهما المسير إلى حيث اللقاء الموعود. هناك، وجدا رجلاً من عباد الله، قد حظي بفيضٍ من الرحمة الإلهية الخاصة، واصطفاه الله بعلومٍ لدنّية لم تدركها الأسباب المعتادة,(الطبري2000 ,18\61).

وقد تطرقت هذه الآية لوجهين في رسم وأداء كلمة (نبغِ)؛ الأول: إثبات الياء في حالة الوصل وسقوطها عند الوقف (اتباعاً للرسم)، والثاني: هو حذفها في كلا الحالتين (وصلاً ووقفاً)، وهي قراءة حمزة، وكلا الوجهين مسموع وصحيح لغوياً وقرائياً، مع ملاحظة أن حذف الياء في الرسم العثماني جاء مراعاةً لجمالية اللفظ والتخفيف,(الفراء,2\27).

وفي اعرابها, جاءت ما اسماً موصولاً لتقوم بدور الخبر للمبتدأ ذلك، مشكلةً معها جملةً كبرى في محل نصب مقول القول. ثم تلتها جملة (كنّا) المكوّنة من كان واسمها- لتكون صلة الموصول التي لا محل لها من الإعراب، بينما وقعت جملة نبغِ في محل نصب خبر كان؛ حيث الفعل مضارعٌ مرفوع بضمةٍ قُدرت على الياء التي سقطت من رسم المصحف تخفيفاً، مع استتار فاعله وجوباً,(الدعاس1425 ,2\225).

فجملة ما كنا نبغِ جملة خبرية,(النحاس1421 ,2\301).

ثامناً : نسق كان (اسمها المتأخر + خبرها).

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الآية: 43].

يُبين النص في هذه الآية انعدام الناصر لصاحب الجنتين؛ فلا أعوان لديه يشدون أزره، ولا قوة تملك دفع بأس الله عنه أو حمايته من سطوته حين حلّ به عقابه، فكلُّ قوةٍ مغلوبة أمام مشيئة الله,(الطبري2000 ,18\28).

تأتي هذه الجملة بمثابة الختم الإلهي الذي يغلق دائرة المشهد؛ فهي لم تُسق لمجرد الإخبار، بل كقاعدة كليّة تحكم الشتات الذي سبقتها. لقد تهاوت في الآيات السابقة حصون المشرك الثلاثة: (اعترافه المتأخر بالوحدانية، وانعدام نصرة الجماعة، وعجز الذات)؛ فجاء هذا التذييل ليؤصل للحقيقة المطلقة: أن كل ولاية ادّعاها الإنسان لنفسه أو لغيره هي سراب، ولا يتبقى في ساحة الحق إلا ولاية الله. إنها صياغة تعيد ترتيب الوجود، معلنةً أن الولاية ليست مجرد انتصار، بل هي انتماء للمصدر الوحيد الذي لا يغيب حين يغيب الجميع,(ابن عاشور1984 ,15\328).

تُشير هذه العبارة إلى وجود وجهين أدائيين (قراءتين) للفعل؛ الأول بـ تأنيث الفعل تكن مراعاةً للفظ كلمة فئة، والثاني بـ تذكيره يكن مراعاةً لكون التأنيث غير حقيقي أو للفصل بين الفعل وفاعله بـ له، وكلا الوجهين فصيح وجائز في العربية ومستساغ سماعاً وقياساً, (العكبري,2\849).

استُهلت الآية بـ واو العطف المتبوعة بـ حرف الجزم لم ,الذي دخل على الفعل المضارع الناقص تكن، وقد تقدّم فيه الجار والمجرور له ليتعلقا بـ خبر الفعل المحذوف، بينما تأخر اسمها الظاهر فئةٌ مرفوعاً. وجاءت جملة ينصرونه بفعلها المرفوع بثبوت النون وفاعلها ومفعولها لتكون في محل رفع نعت تخصص كلمة فئة ، متبوعةً بشبه الجملة من دون المتعلقة بالفعل، والمضافة إلى اسم الجلالة الله المعظم بالجر,(محمود بن عبد الرحيم صافي1418 ,2\220).

وكذلك يتضح هذا النسق في هذه الآية {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الآية:٧٩].

في تفسير الآية الكريمة (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) كما نقل عن كعب، أن هؤلاء الإخوة العشرة كانوا في غاية الحاجة؛ فقد كان نصفهم زمنى (أصحاب عاهات لا يقدرون على العمل)، والنصف الآخر يكتسبون رزقهم بالعمل على السفينة، مما يثبت أن الشخص قد يملك أداة إنتاج (السفينة) ويظل مسكيناً لحاجته لما تدره من كفاية. وقد صرح الخضر بأنه أحدث عيباً في السفينة لإظهارها معيوبة، كي لا يغتصبها الملك الظالم,(البغوي1420 , 3\209).

وفي اعرابها , كلمة أَمَّا حرفاً يجمع بين الشرط والتفصيل، وتليها السَّفِينَةُ مبتدأ مرفوعاً، وتدخل الفاء في خبرها رابطةً لجواب الشرط، بينما كانَتْ فعل ماضٍ ناقص واسمه مستتر فيه، وجملة كانت هي الخبر للمبتدأ السفينة، في حين تتعلق لِمَساكِينَ بـخبر محذوف تقديره كائنة أو مملوكة,(الدعاس1425 ,2\229).

وتتفرع جملة (فأردتُ أن أعيبها) بنيوياً عن مبرراتها السابقة، وهي كون السفينة لمساكين ووجود ملك يتربص بها؛ لذا كان السياق المنطقي يقتضي تأخيرها عنهما. غير أن النص قدمها على خلاف المعتاد، ليوجه عناية السامع إلى قصد الإعابة، ويبرز الحكمة في فعلٍ يبدو في ظاهره مُنكراً وفي باطنه صلاحاً محضاً.

هذا التقديم لم يكن إلا تشويقاً لنفس موسى عليه السلام، ليزداد تطلعاً لمعرفة تأويل خرق سفينةٍ يملكها ضعفاء، وهو ما يثير العجب ويدفع للتساؤل. كما أن العدول عن قول "فعبتها" إلى (فأردتُ أن أعيبها) جاء ليؤكد أن هذا الفعل لم يكن عفو الخاطر، بل هو فعلٌ ناتج عن تأملٍ وتدبيرٍ مسبق، فـ الإرادة هنا هي القصد بعينه، كما استقر في لغة العرب ونقله سيبويه ,(ابن عاشور1984 ,16\12).

تاسعاً : نسق (خبر شبه جملة مقدم + اسم مؤخر).

يظهر هذا النسق في قوله تعالى { وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) }.

يقول ابن مجاهد ان الثمر يعني الذهب والفضة . ينظر : تفسير ابن مجاهد :447

وذهب الأخفش انه المعنى: إنما ذُكر الرجلان معًا في السياق، مع أنّ الثمر كان لأحدهما دون الآخر، فقام ذكر أحدهما مقام ذكرهما معًا، إذ دلّ الحال على الاشتراك في الحكم أو القصة، فاكتُفي بذكر الواحد عن الاثنين,(الفراء, 2\430).

في هذا النسق تقدم الخبر على الإسم وهذا جائز كما نعلم في العربية اذا لم يحصل لبس ,وقبل الشروع في اعرابه, قيل في لفظة ثمر, رفع ونصب وقراءات, فذهب بعض العلماء بقولهم: من قرأها برفع (ثُمُرٌ) فإن المقصود بها جميع ما يملكه الرجل من بساتين وغيرها، أما من قرأها بالنصب (ثَمَرًا) فالمعنى يختصّ بالثمر نفسه. وقال فريق آخر: إنّ الثَّمَر بالنصب يدل على الثمر المعروف، بينما الثُّمُر بالرفع يدل على عموم أنواع الثمار كلها، والله أعلم ,(ابو منصور الماتريدي2005 ,7\170).

فتعددت القراءات فيها, حيث قرأ عاصم بفتح الثاء والميم، وقرأ أبو عمرو بضم الثاء مع إسكان الميم، وقرأ الباقون بضم الثاء والميم ثُمُر. وقد اختلف في المعنى: فقيل إن الجميع بمعنى واحد، أي المال الكثير، سواء أُريد به الذهب والفضة أو عموم الأموال أو ما فيه نماء. وقيل بل بين الضم والفتح فرق، فقيل: الفتح لثمار النخل خاصة، والضم لعموم المال أو الأصول، وقيل غير ذلك من التفصيلات. والمقصود بالثمر هنا إمّا ثمر الجنتين أو مطلق ما يملكه من أموال وثمر غيره ,(الماوردي ,3\306).

وفي اعرابها يقول محي الدين درويش في (وكان له ثمرٌ) , الواو عاطفة، وكان فعل ماضٍ ناقص، وله خبر كان مقدّم، وثمرٌ اسم كان مؤخّر. و فقال معطوف على وكان، ولصاحبه متعلّق بـقال. والواو في وهو يحاوره للحال، وهو مبتدأ، وجملة يحاوره خبر المبتدأ، والجملة في محل نصب حال، والمقصود بصاحبه أحد الرجلين المذكورين في السياق,(محيي الدين درويش1415 ,5\599).

وورد هذا النسق من تقديم خبر كان على اسمها في موضعين كذلك من سورة الكهف, في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً (107)}

وفي نسق : (تقديم خبر كان شبه الجملة الظرف + اسم كان) في قوله تعالى {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) }

في قوله تعالى: (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) بيّن الزجاج أن المراد بالملك أنه كان يأخذ كل سفينة سليمة لا عيب فيها أخذًا قهرًا، أمّا إذا كانت معيبة فإنه لا يتعرض لها.

ومعنى وراءهم أي خلفهم، وهذا هو الوجه الأرجح في التفسير. ويجوز أيضًا أن يكون المقصود أنهم كانوا سائرين في طريق يمرّ عليه الملك دون أن يعلموا بأمره، فأطلع الله الخضر على خبره.

وقيل كذلك إن وراءهم قد تأتي بمعنى أمامهم، وهو استعمال معروف في العربية, لأن ما يكون أمام الإنسان ثم يخفى عنه أو يتجاوزه يصير في حكم الوراء بالنسبة له,(الفراء,3\305) , (والزمخشري1407, 2\740),(والقرطبي1964 ,11\34).

ويذهب ابن عاشور انهُفهم من قوله تعالى: (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ) أنّ المقصود ملكٌ كان يتربّص بأهل تلك البلاد ويرصد أحوالهم، ويأخذ كل سفينة يجدها سليمة غصبًا بلا مقابل، فيسخّرها لمصالحه الخاصة وما يتعلّق بشؤونه وشهواته، لا لمصلحة عامة. وقد شُبّه حاله بما كان يفعله بعض الحكّام كالفراعنة الذين كانوا يُجبرون الناس على العمل في مشاريعهم الكبرى كالأهرام.

ولو كان هذا التسخير لمصلحة عامة للأمة لجاز تنظيمه بحسب الحاجة وبقدرها، لأنه حينئذٍ يُعدّ من فروض الكفايات التي تُؤدّى عند تحقق المصلحة ووجود الحاجة.

ومن الناحية اللغوية، فوراء اسم يُطلق على الجهة التي تكون خلف من أُضيف إليه، وهو مقابل أمام وقدّام. إلا أنّ العرب قد تستعمله مجازًا لمعانٍ أوسع، فيُطلق على معنى التتبع واللحوق، أو على ما يكون مترقَّبًا ومُنتظرًا، أو ما يوشك أن يقع، تشبيهًا له بما يكون خلف الشيء ثم يلحقه ويتصل به. ومن هذا الاستعمال قوله تعالى: (مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ) الجاثية : 10 اي أن العذاب لاحق بهم ومحيط بمصيرهم لا محالة,(ابن عاشور1984, 16\11).

وفي اعراب كان مع الخبر والإسم , كان فعل ماضٍ ناقص، ووراءَهم ظرفُ مكانٍ متعلّق بمحذوف خبرٌ مقدّم، ويُراد به إمّا معنى أمام أو خلف بحسب السياق، وملكٌ اسمُ كان مؤخر. وجملة يأخذ في محلّ صفةٍ للملك. وكلَّ سفينةٍ مفعولٌ به، وغصبًا مصدرٌ منصوب على أنه مفعولٌ مطلق يبيّن نوع الأخذ، ويجوز أن يُقدَّر في موضع الحال. وفي التركيب تقديمٌ وتأخيرٌ يُكشف عن لطيفة بلاغية يُشار إلى بيانها في موضعها من علم المعاني, (محيي الدين درويش 1415, 6\10).

وعلل محيي الدين درويش الية التقديم والتأخير في انه يُفهم من هذا الموضع أن ترتيب الجمل في الظاهر يقتضي أن تتأخر عبارة (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا) عن قوله تعالى (وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا) لأن إرادة إحداث العيب جاءت نتيجة الخوف من غصب السفينة، فكان مقتضى الترتيب أن يُذكر السبب أولًا ثم ما ترتب عليه.

غير أن القرآن الكريم قدّم ذكر المسبب على السبب، وذلك لعناية خاصة به وللتنبيه على أهميته في السياق، كما أن سبب الإقدام على العيب لم يكن مجرد الخوف من الملك وحده، بل اقترن بكون السفينة لفقراء مساكين، فاجتمع أكثر من باعثٍ على الفعل، فاقتضى الأسلوب البلاغي هذا التقديم الدقيق الذي يكشف عمق الدلالة وتداخل الأسباب,(محيي الدين درويش1415, 6\17).

ومن هذا النسق الخبر المقدم الظرفي ,ذكرت كان في موضع اخر من أية أخرى في قوله (وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما) آية 82:.

عاشراً: نسق : لو + كان + اسم كان + خبر كان .

في قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الكهف: 109]

يقول تعالى: قل يا محمد، لو كان ماء البحر مدادًا يُستعمل للكتابة التي تُدوَّن بها كلمات الله وحِكمه وآياته الدالة على عظمته، لنفد ماء البحر وانتهى قبل أن تُستوفى كتابة تلك الكلمات.

ولو أُضيف إلى ذلك بحار أخرى مثلُه، وجُيء بمثل البحر مرارًا وتكرارًا، لظلّت كلمات الله غير قابلة للنفاد، إذ إن علمه وكلماته لا يحدّها عدد ولا ينتهي مداها ,(ابن كثير 1419 ,5\182).

وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ لِكَلِماتِ ,لَامُ الْعِلَّةِ، أَيْ لِأَجْلِ كَلِمَاتِ رَبِّي. وَالْكَلَامُ يُؤْذِنُ بِمُضَافٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: لِكِتَابَةِ كَلِمَاتِ رَبِّي، إِذِ الْمِدَادُ يُرَادُ لِلْكِتَابَةِ وَلَيْسَ الْبَحْرُ مِمَّا يُكْتَبُ بِهِ وَلَكِنَّ الْكَلَامَ بُنِيَ عَلَى الْمَفْرُوضِ بِوَاسِطَةِ (لَوْ) .

وَالْمِدَادُ: اسْمٌ لِمَا يُمَدُّ بِهِ الشَّيْءُ، أَيْ يُزَادُ بِهِ عَلَى مَا لَدَيْهِ. وَلَمْ يَقُلْ مِدَادًا، إِذْ لَيْسَ الْمَقْصُودُ تَشْبِيهُهُ بِالْحِبْرِ لِحُصُولِ ذَلِكَ بِالتَّشْبِيهِ الَّذِي قَبْلَهُ وَإِنَّمَا قُصِدَ هُنَا أَنَّ مِثْلَهُ يَمُدُّهُ.

وَالنَّفَادُ: الْفَنَاءُ وَالِاضْمِحْلَالُ، وَنَفَادُ الْبَحْرِ مُمْكِنٌ عَقْلًا.

وَأَمَّا نَفَادُ كَلِمَاتِ اللَّهِ بِمَعْنَى تَعَلُّقَاتِ عِلْمِهِ فَمُسْتَحِيلٌ، فَلَا يُفْهَمُ مِنْ تَقْيِيدِ نَفَادِ كَلِمَاتِ اللَّهِ بِقَيْدِ الظَّرْفِ وَهُوَ قَبْلَ إِمْكَانُ نَفَادِ كَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَكِنْ لَمَّا بُنِيَ الْكَلَامُ عَلَى الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ بِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ (لَوْ) كَانَ الْمَعْنَى لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي وَكَانَتْ كَلِمَاتُ رَبِّي مِمَّا يَنْفَدُ لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي,(ابن عاشور1984 ,16\53).

وفي اعرابها , لو هنا شرطية، وكان البحرُ مدادًا جملة فعلية في محل جزم فعل الشرط، حيث إن كان فعل ناقص، والبحرُ اسمها، ومدادًا خبرها.

وأما قوله: (لكلماتِ) فهي صفة لمدادًا، واللام في لكلمات ,لام التعليل واقعة في سياق الجواب.

وجملة نَفِدَ البحرُ هي جواب الشرط غير الجازم، لا محل لها من الإعراب. وقيل أيضًا: إن (نفد) قد يُفهم على أنه في محل جملة ظرفية متعلقة بالفعل نفسه، على اختلاف في التوجيه الإعرابي بين النحاة ,(محيي الدين درويش1415 ,6\49).

الخاتمة :

في ختام هذا البحث تتوطد كان في هذه السورة بكونها نموذجا حيا رابطا للمستويين النحوي والدلالي ,بشكل تكاملي ,حاملا في طياته النسقية ابعاد بيانية باغراض بلاغية ونحوية في ضوء كل نسق ,فكان في ابراز الاسم الظاهر ابعاد بيانية حسبما وردت كان في هذه الاية, فتارةً اتت لتفسير الحكمة من الفعل ,وتارة اخرى لبيان طبيعة ملازمة الانسان لا مجرد زمن مضى ,وتارة اتت لتضمين الشرط في نسق الشرط الممتنع ب (لو) وتارة تتجاووز الزمن الماضي الى الدوام والاستمرار في قوله { وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا (54) }, وتارة اتت منفية لنفي امر وجود النصي في الماضي ,مثلا في قوله{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ} [الكهف: 43] , وفي تقديم خبرها على اسمها لبيان وتهويل امر ما , وفي ربطها بالفاء لافادة التفصيل بعد اجمال مع ربط نحوي , وفي استتار الضمير لإداء دوره في الجملة , فتفرعت كان ولم تقف على نمط واحد في هذه السورة, فتنوعت بين الاثبات والنفي والنقص والتمام , اما الطابع العام في سورة الكهف ,كان طابعا سرديا قصصيا مما يخدم كان في اداء مهامها الأول وهو الزمن الماضي .

المصادر والمراجع:

1- اعراب القرآن , للنحاس , وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم ,منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ,ط1, 1421ه.
2- إعراب القرآن الكريم ,أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم ,دار المنير ودار الفارابي – دمشق الطبعة: الأولى، 1425 هـ.
3- اعراب القرآن وبيانه , محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش , دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت), ط4, 1415ه.
4- انوار التنزيل واسرار التأويل ,البيضاوي, تح :محمد عبد الرحمن, دار احياء التراث العربي,بيروت,ط1, 1418.
5- البحر المحيط في التفسير, ابن حيان , تح : صدقي محمد جميل , دار الفكر – بيروت,1420 هـ.
6- التبيان في إعراب القرآن, ابو البقاء العكبري , تح : علي محمد البجاوي , الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه , د.ط.
7- التحرير والتنوير, ابن عاشور, الدار التونسية للنشر – تونس , 1984ه.
8- التعريفات , علي الجرجاني, ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر, دار الكتب العلمية , بيروت , ط1, 1983.
9- تفسير القرآن العظيم, أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي, تح : محمد حسين شمس الدين , دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت, ط1, 1419ه.
10- تفسير الماتريدي, ابو منصور الماتريدي, تح د. مجدي باسلوم, دار الكتب العلمية, بيروت ,ط1, 2005 .
11- تفسير الماوردي, ابو الحسن الماوردي ,تح: ابن عبد المقصود ابن عبد الرحيم, دار الكتب العلمية , بيروت .
12- جامع البيان في تأويل القرآن , ابو جرير الطبري, تح: احمد محمد شاكر ,مؤسسة الرسالة , ط1, 2000م.
13- الجامع لأحكام القرآن, شمس الدين القرطبي, تح: احمد البردوني, وابراهيم أطفيش, دار الكتب المصرية,القاهرة,ط2, 1964.
14- الجدول في إعراب القرآن الكريم, محمود بن عبد الرحيم صافي, دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت, ط1, 1418.
15- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي, تح: علي عبد الباري عطية , دار الكتب العلمية - بيروت، ط1, 1415 هـ.
16- زهرة التفاسير, محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة , دار الفكر العربي.
17- الكشاف, للزمخشري, دار الكتب العربي , بيروت, ط3, 1407.

18- اللمع في العربية , ابن جني , تح : فائز فارس, دار الكتب الثقافية , الكويت .
19- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي, بو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي, تح: عبد الرزاق المهدي , دار إحياء التراث العربي –بيروت ,ط1، 1420 هـ.
20- معاني القرآن, الفراء, أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي, دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر,ط1.
21- معجم مقاييس اللغة , ابن فارس, تح: عبد السلام هارون , دار الفكر, 1979م.